

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

ISSN: 1112-9751

عنوان المقال:

حوار اللغة و العقل في فلسفة تشومسكي

أ. ولد بسطامي أنفال ، جامعة قسنطينة 2 ، الجزائر

أ.د لخضر مذبوح، جامعة قسنطينة 2 ، الجزائر

واقع التعليم الالكتروني عبر الشبكات الاجتماعية من وجهة نظر الأساتذة الجامعيين

أ. ولد بسطامي أنفال / أ.د لخضر مذبوح

الملخص:

تتناول هذه الدراسة مشكلة من أبرز مشكلات الفلسفة الغربية الراهنة وهي مشكلة اللغة وكيفية انتاجها في فلسفة نعام تشومسكي ، الذي يعطي للعملية الكلامية طابعها الانساني الخاص ، وفق مقارنة ابستمولوجية يحضر فيها العقل البشري حضورا مركزيا ، تتداخل فيه اللسانيات بالبيولوجيا ، بالفلسفة ، بعلم الأعصاب ... الخ لتحاول كلها الاجابة عن سؤال واحد يتلخص في : كيف ينتج العقل اللغة ؟

الكلمات المفتاحية: النحو التوليدي، الابداعية، الكفاءة، الأداء، البنية السطحية، البنية العميقة

Abstract:

This study deals a problem of the highlights of the current problems of western philosophy , it is the language problem , and how its production in the philosophy of Noam Chomsky , which gives a verbal process its own character humanitarian brings up the mind centrally presence . Interfere in it the linguistics to the biology , and philosophy , and the neuroscience , ...ect . All to try answer about one questions , it boils down to : how the mind produces the language ?.

Key words: Generative grammar,Creativity, Competence , Performance , Surface structure, Deep structure.

مقدمة:

تعتبر مشكلة اللغة من أبرز المشكلات تناولاً في القرن العشرين ، وهذا ما يبرره ظهور تيارات فكرية متعددة منها التحليلية بزعماء فيتجنشتين Ludwig Wittgenstein (1889_1951) والفيونومينولوجيا بزعماء هسـرل Edmund Husserl (1859_1938) ، و التأويلية بزعماء غادامار Hans-Georg Gadamer (1900_2002) و البنيوية بزعماء ليفي سترأوس Claude Lévi-Strauss (1908_2009)....الخ. وهي كلها مدارس تركز نظرها على الظاهرة اللغوية من جهة، وآثارها ووظائفها من جهة أخرى إلى أن ظهرت النزعة التوليدية راهنا بزعماء نعام تشومسكي Avram Chomsky (1928_) لتقلب المعادلة اللغوية رأساً على عقب ، ويصبح العقل البشري موضوعاً للدراسة بعد أن كان أداة فيها حاملاً إلينا مفاهيم جديدة تدخل كلها تحت إطار العلوم المعرفية عموماً و فلسفة العقل خاصة. وعليه اخترت أن تكون اشكالية هذا المقال هي ما هو موقف تشومسكي من الاستيمولوجيات اللغوية المعاصرة ؟ وفيما يتجلى الجديد الذي حملته إلينا فلسفته اللغوية؟

قبل الخوض في تفاصيل العقل اللغوي عند تشومسكي علينا أن نوضح المنطلقات الأساسية التي انطلق منها والتي تعتبر الحجر الأساس الذي ارتكزت عليها فلسفته اللغوية برمتها ومن أهمها :

__ يرفض تشومسكي النظرية السلوكية القائمة على التفسير التجريبي القائل بأن تعلم اللغة يحدث نتيجة اشتراط لعمليات متشابهة، من منطلق أن الانسان يمتلك قدرة فطرية تسمح له باكتساب / انتاج اللغات المختلفة ، وهذه القدرة بطبيعتها مشتركة بين البشر في كل زمان و مكان¹. وفي ذلك يقول: « رأيت أن أحول اهتمامي من دراسة السلوك الصادر عن استخدام اللغة إلى دراسة النحو التوليدي »²

__ ينتقد المدرسة البنيوية في ثلاثة عناصر:

أ_ اعتبارية العلامة عند دي سوسير:

يرفض تشومسكي نظرية سوسير القائلة أن كل لغة تنطوي على جملة معينة من المدلولات التي ترتبط بدوالها وفق نظام اعتباطي تحكمه علاقة وضعية داخل الجماعة اللغوية الواحدة ، من منطلق أن الانسان يملك آلية داخلية لإنتاج / فهم اللغة فيقول « إن الجماعة اللغوية التي يقصد بها تجمعات الأفراد ذوي السلوك الواحد ليس لها وجود في العالم الحقيقي»³ ب_ غلق النص عند همسلف :

يتصدى تشومسكي بشدة لمبدأ الاغلاق كونه يفسر القواعد اللغوية على الثبات ، في حين أنه يقر بأن العقل اللغوي خلاق بالأساس ، و هذا ما نشهده في قدرة الانسان على انتاج عدد لا نهائي من الجمل والعبارات ، حيث أصدر مقالا تحت عنوان " الشكل والمعنى في اللغة الطبيعية form and meaning natural language en communication الذي يطرح فيه السؤال : كيف يمكننا أن نتعلم لغة ما بحيث نصبح قادرين على فهم عدد لا نهائي من التعبيرات الجديدة ؟ ثم يطلق على هذه العملية مصطلح الابداعية Créativité ويعتبرها أهم خصائص اللغة ، بل ويبني عليها تعريفه للغة فيقول : « أعتقد أن اللغة هي قبل كل شيء وسيلة لإبداع الفكر»⁴

ج: إهمال الذات الانسانية :

ينتقد تشومسكي المدرسة البنيوية بخصوص إهمالها للذات الانسانية ، ويرى أن اللغة ليست مجرد قوالب جامدة تنحصر ضمن اطار البنية. بل إنها كيان حي يتضمن التجديد الدائم و التدفق المستمر للمزيد من العبارات الجديدة⁵

__ يدعو تشومسكي إلى العودة إلى اللسانيات الديكارتية في العديد من مؤلفاته وأهمها كتاب : " اللسانيات الديكارتية Cartesian Linguistics " الذي لخص فيه أهمية هذه الدراسة وجعل منها الحجر الأساس في بناء نظرية لغوية جديدة .

أولا : اللغة بوصفها علم معرفي :

يمكن القول أن هناك مجموعة من الظواهر جعلت الأبحاث اللغوية أمام مأزق استيمولوجي ، وذلك بعد أن أصبحت المدرسة السلوكية عاجزة عن تفسير

وقدرته على إنتاج المعرفة اللغوية ذات الصلة بالوعي والذكاء ، والبحث في الإعداد الإحيائي عن الآثار البيولوجية لهذه الخاصية الإنسانية المتجسدة في الفعل اللغوي ، وهذا كله جعل الدراسة اللغوية تنسحب من الاقتصار عن الوظيفة التواصلية لتعبر عن نفسها على هيئة علم معرفي مستقل بذاته.

ثانيا : نظرية العقل / الدماغ :

يتسم القرن الواحد و العشرين بمتطلبات منهجية أعادت طرح الإشكالية الفلسفية المتعلقة بثنائية العقل / الجسد من جديد ، بعد أن اعتقد رينيه ديكارت أنه توصل إلى حلها بقوله أن العقل يتصل بالجسد في الغدة الصنوبرية ، فما إن بدأت فلسفة العقل تشق طريقها نحو العلوم المعرفية ، حتى كانت مشكلة العقل / الدماغ أولى اهتماماتها ، وذلك باستخدام النهج الإحيائي في البحث في الكيفية التي يتوصل من خلالها العقل إلى مختلف معارفه عن طريق تقضي الآثار البيولوجية التي تتركها العمليات المعرفية على الدماغ البشري . وبما أن اللغة هي إحدى أهم هذه العمليات المعرفية فلا شك أنها تدخل بدورها ضمن هذه الإشكالية. يستبشر تشومسكي خيرا بفرضية التوحيد بين العقل والدماغ فيقول : « يعتبر توحيد الدماغ والعلوم المعرفية احتمال وشيك للتغلب عن الثنائية الديكارتية⁸ » . إذ يرى تشومسكي أن ما يحدث داخل عقل الإنسان يترك بدوره أثرا فيسيولوجية على دماغه وبالتالي ليس ثمة ثنائية بالأساس لأن عقل الإنسان ودماغه وجهان لعملة واحدة لذا نجده في مؤلفاته كلها يستعمل المصطلحين معا للدلالة واحدة على النحو الآتي : Mind / Brain أي العقل / الدماغ . فيقول : « الظواهر العقلية هي طبيعية تماما كونها تنجم عن الأنشطة العصبية للدماغ . و أن قدرات العقل البشري في الحقيقة هي قدرات الدماغ»⁹

ثالثا : اللغة و ثنائية الوعي و الذكاء :

يعد انهيار المدرسة السلوكية عاملا أساسيا لعودة الدراسات المتعلقة بالوعي الإنساني الذي تم استبعاده من طرف واطسون وغيره من السلوكيين ، بحيث تأسس فرع جديد في علم النفس يتمثل في علم

العقل البشري في زمن تطورت فيه الحواسيب ، وازدهرت فيه الدراسات العصبية التي تدخل ضمن إطار علم الأعصاب Neurosciences. وظهور ما يعرف بالذكاء الاصطناعي ، وهو ما جعل الحقبة الممتدة من نهاية القرن العشرين إلى اليوم تعرف بعصر الدماغ البشري وذلك بسبب توجه الدراسات نحو اكتشاف تقنيات التخيل الدماغي. حيث تعلن نهاية الخمسينات من القرن العشرين عن وصول المد الثوري إلى علم النفس بعد أن تم زعزعة عرش السلوكية بظهور تصور جديد للمعرفة الإنسانية cognition وذلك تحديدا في 11 سبتمبر 1956 عندما نظم معهد مساتشوستس للتكنولوجيا ندوة تجمع ولأول مرة مجموعة من الباحثين المعرفيين في ميادين المعلومات و اللسانيات بالإضافة إلى علم النفس ، لأجل دراسة العقل البشري لتتوج هذه الندوة بميلاد ما يعرف اليوم بالعلوم المعرفية cognitive sciences.

تستفيد اللسانيات من ثلاث مستويات تتبناها العلوم المعرفية⁶

أ_ مستوى تمثيلي مجرّد : يبني من خلاله اللساني دراسات على نحو تجريدي يتبع من خلاله مسارات معينة يتوصل من خلالها إلى التمثيل اللغوي.

ب_ مستوى معرفي : وفيه يعمل اللساني على مدى توافق التمثيلات المتوصل إليها في المستوى الأول ، مع مسارات المعالجة الذهنية التي ينجزها المتكلم أثناء بناء التمثيلات الذهنية اللسانية .

ج_ مستوى عصبي : وفيه يتم الكشف عن النظام العصبي، أو الأساس المادي الذي يتم تفعيله في الدماغ ، والذي يتزامن مع اشتغال التمثيلات اللغوية داخل ذهن الإنسان .

إن تفاعل هذه المستويات الثلاث أضحى ضرورة تصورية لإدراج اللسانيات ضمن العلوم المعرفية ، فمن خلال تضافر جهود علماء اللسانيات ، وعلماء النفس وعلماء الأعصاب تتحقق أهداف العلوم المعرفية المعاصرة⁷. فالدراسة الألسنية اذن ظلت تتأثر بمساعي العلوم المعرفية حتى أضحت فرعا من فروعها. وذلك بفضل التوجه إلى دراسة العقل البشري

تتحول فيما بعد إلى صورة قصدية تتبلور في عقل المتكلم فيختار لها الدلالات المناسبة.¹³

كما يقوم الوعي القصدي بمعالجة المعطيات التي تطرأ على النواة في لحظاتها الحدسية الأولى لميلاد التصور اللغوي ، بحيث يكون الوعي القصدي محضاً قبل أن تضاف إليه العناصر القصدية¹⁴ . وعلى هذا النحو يكون الوعي القصدي مسئولاً عن جملة الإجراءات المنطقية التي تحدث في دائرة الإدراك فيحتمي المتكلم / السامع من وقوع الذات العارفة في هفوات الظن والاعتقاد .

ب: الوعي الدلالي:

« يستمد الوعي الدلالي وجوده من الوعي القصدي ... وهذه المرحلة التراتبية تنبني على الوعي بكيفية الانتقال من الماهية إلى المتصور انتقالاً تتميز فيه الحدود عن طريق إدراك الفوارق الدقيقة بين مرحلتين التكويني الحدسي والإدراكي . فالفرق بين الماهية القصدية و الماهية الدلالية يتمثل في الفرق بين المتصور باعتباره مصدر الهوية المركزية التي تشكل المعنى الأنطولوجي للمصطلح وبين المفهوم في كيفية تشكله دلالياً في صلب اللغة»¹⁵

فعندما يقصد المتكلم قول شيء ما يفعل ذلك انطلاقاً من وعيه القصدي وسرعان يفعل عقله ذلك يتحول وعيه القصدي إلى البحث عن الدلالات المناسبة لما يقصد قوله فينتقل المفهوم من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل . وما نخلص إليه أن العلاقة بين الوعيين علاقة تكامل وتواصل بين طرفي الفكر والإنتاج . فبواسطة الوعي - على خلاف نوعيه- يستطيع الإنسان انتقاء الفاظه للتعبير عن المعاني التي يقصدها ، لذا أكد تشومسكي دوره في عمليتي فهم / إنتاج اللغة التي جعل منها صفة إنسانية خاصة . أما بالنسبة للذكاء البشري فلم يول له تشومسكي الأهمية التي أولاها لمسألة الوعي الإنساني في عمليتي فهم وإنتاج اللغة فيقول : « الحيوانات لا تقتصر إلى أجهزة الاتصال المناسبة ، كما أنها ليست ببساطة أقل على الحدود في بعض حجم "الذكاء العام"»¹⁶ . ذلك أن الدراسات الراهنة أثبتت أن للحيوانات أيضاً نوعاً من الذكاء يظهر في عملية اتصالها ببعضها

النفس المعرفي لبحث في مفهوم الوعي وأساسه السيكلولوجية و النورولوجية ، وعلاقته بمختلف العمليات المعرفية التي تحدث داخل العقل / الدماغ والتي يقف الذكاء البشري على رأسها . وفي هذا المجال يقول تشومسكي : « فلا بد علينا إذن الاعتراف بدراسة النظام المعرفي القابع خلف السلوك الظاهر بطريقة مباشرة »¹⁰ . فالأثر المعرفي الذي تتركه اللغة على مستوى عقل / دماغ الإنسان لا يمكن ضبطه عن طريق الاختصار على دراسة السلوك الظاهر الذي يحدده مؤطري المنبه والاستجابة بل عن طريق تفسير بنى الوعي الإنساني القادرة على ضبط الشحنة المعرفية المتجسدة في صورة التفكير اللغوي .

يلعب الوعي البشري الدور الأساسي في إنتاج / فهم اللغة وهذا ما يبينه لنا تشومسكي في شرح الكيفية التي يتدخل من خلالها الوعي في فرز دلالة الكلمات المتشابهة من حيث مخارج الحروف والتي قد تتداخل معانيها مع بعضها البعض فيقدم لنا عبارة " البيت البني Broun house " كمثال على ذلك وهذا ما يتجلى في سؤالنا ماذا نعرف عنه ؟ إذ أننا نعلم أن هذه العبارة تتكون من كلمتين ، والأطفال لديهم مثل هذا الفهم بشكل جيد و إن لم يتمكنوا من التعبير عن ذلك بشكل مباشر . حتى وإن كان هناك تشابه بين كلمتي House و Mouse من حيث السجع فإنهم يدركون أن المراد هنا هو البيت لا الفأرة ، كما أننا نعلم كذلك أن المراد بهذه العبارة هو السطح الخارجي أي اللون البني .¹¹

ويقسم علماء علم النفس المعرفي الوعي اللغوي إلى قسمين وعي قصدي ووعي دلالي :

أ_ الوعي القصدي :

يتمثل الوعي القصدي فيما يعنيه المتكلم ويقصده من حديثه قبل أن يفكر في كلمات تدل على مقاصده بحيث « يملك كل وعي قصدي معيشاً قصدياً يتحقق عبر الوعي الدلالي فيتحقق المعنى التصوري عندما يتحول تحولاً قصدياً إلى مفهوم دلالي »¹² وينطوي المعيش القصدي على مكونين اثنين ، هما الهيولى و الصورة القصدية حيث تعتبر الأولى بمثابة النواة التي تقدم المعطيات الوجودية الأساسية التي

البعض أو في محاولة إيجاد سبل النجاة عندما يتهدها خطر ما وهذا ما يتجسد في سلوكيات الضرار أو الهجوم .

إلا أن هذا التقدم العلمي الذي أفرز مثل هذه الاكتشافات لا يعني عند تشومسكي أن الحيوان يمتلك لغة فيقول : « في الواقع ، كما لاحظ ديكرت نفسه بشكل صحيح تماما ، أن اللغة صفة بشرية خاصة، وحتى لو كانت على مستوى منخفض من الذكاء»¹⁷ ، فتقليل تشومسكي من دور الذكاء في العملية الكلامية يضمن له انسجام أفكاره مع مقدماته التي انطلق منها فبما أنه قد أقر مسبقا أن اللغة موروث فطري يشترك فيه جميع الناس ما لم يكن هناك عجز فيزيولوجي فإذا كانت اللغة عملية عقلية والعقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس فإنها لا تتأثر بالفروقات الفردية والتي يعتبر الذكاء أهمها وهذا ما تؤكد قدرة الأغبياء على إنتاج / فهم اللغات المختلفة.

رابعا : الملكة اللغوية بوصفها عضوا ذهنيا:

يعرف تشومسكي الملكة اللغوية فيقول: « ويبدو الآن بشكل معقول أن هناك عنصر خاص من الدماغ البشري (الذي يطلق عليه ملكة اللغة) مخصص تحديدا للغة.... مثل جميع مكونات الجسم الأخرى : الكلى، والدورة الدموية ، وهلم جرا »¹⁸ . إن اختيار تشومسكي لكلمة عضو organ في تعريفه لملكة اللغة language faculty ناتج عن توحيد بين العقل والدماغ من جهة وبين دراسته لعلم الأحياء من جهة أخرى ، ومادام قد وحد بين العقل والدماغ فإنه استأنس بما توصلت إليه البيولوجيا في تشريحها للمخ البشري مبينة المناطق المسئولة عن العملية الكلامية والموجودة في الدماغ الإنساني والمتمثلة في منطقتي بروكا وفرنيك اللتين توكل إليهما عملية فهم / إنتاج اللغة. لذا اقترح أن يكون الجانب الأكبر من النظام اللغوي الذي يمتلكه الإنسان جزء من إعدادنا الإحيائي .

كما يؤكد عضوية الملكة اللغوية فيقول: « يمكن اعتبار ملكة اللغة بشكل معقول بمثابة عضو لغة بالمعنى الذي يتحدث به العلماء عن الجهاز البصري ،

أو جهاز المناعة أو جهاز الدوران بوصفها أعضاء في الجسم»¹⁹ .

فما إن استقى تشومسكي فكرته حول الملكة اللغوية من الأفكار الفطرية التي أقر بها ديكرت حتى راح يعمل على إثباتها علميا ، فربط فكرته بجملة من العلوم أهمها علم النفس والفلسفة والرياضيات و العلوم المعرفية في عمومها ، وعليه يقترح أن يكون الجانب الأكبر من النظام اللغوي مفطور في إعدادنا الإحيائي . هذا ما أدى به إلى القول أن عضو اللغة شأنه شأن الأعضاء الأخرى ، ذو طبيعة جينية تتحكم فيها المورثات . وهذا ما أثبتته اتباع الأبناء للغة آبائهم. فيقول : « و إذا افترضنا أننا وضعنا طفلا يملك الملكة اللغوية كجزء من إعداده الفطري ، في بيئة يتكلم أعضاؤها الإسبانية فسوف تنتقي هذه الملكة اللغوية لديه المادة اللغوية ذات الصلة بين الوقائع التي تحدث في هذه البيئة»²⁰ . إذ أن الملكة اللغوية التي تعبر عن اللغة الأم تشبه في انتقالها من الآباء إلى الأبناء انتقال الصفات الجينية عبر الكروموزومات، وهذا ما يؤكد نطق الأطفال الذين يتكلم آباؤهم الإسبانية بالإسبانية لا غير لأن الإسبانية حسب اعتقاده جزء من إعدادهم الفطري ، لتصبح بعد ذلك جزءا من عقولهم / أدمغتهم ، ثم تنتقل إلى أبناء الأبناء .

هذا ، وقد طور علم النفس التطوري فكرة تشومسكي حول جينية الملكة اللغوية مؤكدا أن الانتقاء الطبيعي لا يمكن أن يعمل إلا إذا كانت هناك علاقة قوية بين الجينات وتعبيراتها الجينية النمطية. كما أثبتت الدراسات الراهنة عضوية الملكة اللغوية داخل الدماغ البشري وهو ما يتجلى في منطقتي بروكا وفرنيك المسؤولتين عن فهم / إنتاج اللغة.

هذا بالنسبة للأدلة العلمية التي تؤيد نظرية تشومسكي حول عضوية اللغة، أما بالنسبة لكيفية عمل هذه الملكة العضوية التي يقترحها فنجد شرح لنا ذلك بقوله : « تتغير الملكة اللغوية عن حالتها الأولية أثناء الحياة ، كما تفعل الأنظمة الحيوية الأخرى. إنها " تنمو " من الحالة الأولية خلال مرحلة الطفولة، لتصل إلى حالة مستقرة نسبيا في مرحلة النضج.

حيث تتم عملية اكتساب اللغة ، في وكثيرا ما يعبر عنها ب " تعلم اللغة " وهو تعبير خاطئ . يبدو أن هذه العملية تحمل شيئا إلى ما يسمى " التعلم " . يبدو أن مستويات النمو من قبل سن البلوغ ، وربما في وقت مبكر من ستة إلى ثمانية»²¹

فبما أنه قد أقر أن الملكة اللغوية فطرية وبالتالي مشتركة بين جميع الناس فقد فلا يعقل أن يؤول سبب تطورها إلى التعلم بل إلى النمو تماما مثلما تنمو أعضاء الجسم ، وهذا ما يتضح أكثر في المراحل الأولى لاكتساب اللغة الأم عند الطفل فإنه لا يمتلك ناصية لغته إلا عندما تبدأ هذه الملكة في النضج تدريجيا فيصوب الطفل أخطاءه شيئا فشيئا حتى يكتمل صواب التكلم باكتمال نمو الملكة اللغوية ، لذا نجد تشومسكي يفترض في أكثر من موضع أن التجربة المحيطة لا تلعب دورا حاسما في عملية اكتساب اللغة بل يتم اكتسابها وفق ميكانيزمات بيولوجية تضبط مسار تطور حالات الملكة اللغوية.

خامسا: نظرية النحو الكلي (Universal Grammar) :

ترتكز فكرة الكلّي على محاولة البحث عن وحدات كلية مجردة مثل الخصائص والعلاقات والوظائف والأصناف ... الخ وعلاقتها بالوحدات الخاصة ، قد لقيت هذه الفكرة قبولا عند تشومسكي لاسيما وقد أقر في أبحاثه أن اللغة موروث فطري عقلي يتساوى فيه جميع البشر فما لبث إلا أن تبنى فكرة النحو الكلي وهو ما يعرف عنده ب Generative Grammar في العديد من كتبه و أهمها " اللغة والعقل Language and mind " حيث يعبر عن ذلك بقوله : « يمكن تعريف النحو الكلّي من خلال دراسة الشروط التي يجب توافرها في قواعد النحو من كل اللغات البشرية »²² فالنحو الكلي بهذا المفهوم تعيين لسمات ملكة اللغة المحددة وراثيا ، وبالتالي يمكن اعتباره مكون من مكونات الذهن البشري . مادام بإمكانه تحديد جميع الصفات المشتركة بين لغات العالم وتسهيل عملية التعامل معها وكأنها لغة واحدة.

حيث تعتبر الملكة اللغوية بمثابة الحالة الأولية أي حالة الصفر (ح 0) وهي الحالة التي يختص بها جميع البشر ويشاركون فيها ، وبمجرد أن تتوفر الظروف الملائمة تنتقل من (ح 0) إلى (ح م) أي من الحالة الصفرية إلى الحالة المستقرة والثابتة نسبيا ، فتتعرض إلى تعديل هامشي كإكتساب مواد معجمية جديدة مثلا. فالنحو التوليدي يتشكل من الحالة الأولية لملكة اللغة ثم تبنى اللغات المتنوعة المبنية داخليا التي يمكن تحصيلها بثبات واستقرار الحالة²³.

يمكننا تقديم مثال يبسط كيفية حدوث ما يعرف بالنحو الكلي:

The man opened the door.

فتح الرجل الباب

إذا طبقنا قواعد النفي نحصل على :

The man did not open the door

لم يفتح الرجل الباب

و إذا طبقنا قواعد الاستفهام نحصل على :

Did the man open the door ?

هل فتح الرجل الباب ؟

وإذا بنيناها إلى المجهول نحصل على :

The door was opened by the man .

فتح الباب من طرف الرجل

إننا عندما نلاحظ هذه الجملة في اللغتين العربية والانجليزية نكتشف أن القواعد نفسها بين اللغتين ولا يوجد إلا تغيير بسيط رغم اختلاف الأصوات كما يلي :

في الوضعية الأولى تحافظ على مبنائها التركيبي والدلالي و لا يتغير إلا التعبير اللفظي بين اللغتين حيث تعبر the في الانجليزية عن " ال " التعريف في العربية ، و يعبر door في الانجليزية عن "باب" في العربية، وكلمة man بالانجليزية عن " رجل " بالعربية " والفعل الماضي "opened" بالانجليزية يعبر عن الفعل الماضي "فتح" بالعربية" فما نلاحظه أن المعنى الدلالي بقي نفسه لم يتغير من لغة إلى أخرى. كما تركيب أركان الجملة واحد من لغة إلى أخرى فكلتا الجملتين تتكونان من فعل ، وفاعل ، ومفعول به .

العصبية الناقلة للأوامر المسنولة عن إنتاج العمليات المعرفية.

ويتم تنظيم الجهاز المادي "hardware" في جهاز الكمبيوتر عادة من خلال ثلاث لبنات عامة: الذاكرة والمعالج (الحساب وحدة التحكم) ، ومختلف المدخلات والمخرجات الاتصالية بين الآلة و البيئة .²⁵ فالذاكرة "Memory" سواء في الحاسوب أو في الدماغ الإنساني تعمل على تخزين البيانات المعلوماتية ، كما يتم معالجة هذه البيانات قبل حفظها في الحاسوب بالطريقة نفسها التي يقوم بها الدماغ البشري في معالجته للمعلومات ، ومثلما يحتوي الحاسوب على أسلاك تقوم على إدخال الأوامر وإخراجها يحتوي الدماغ البشري على أعصاب حسية تعمل بدورها على نقل الأوامر أو إخراجها .

فللمبرمجة اللغوية أغراض عامة ، وجهاز الكمبيوتر الإلكتروني الذي ينفذ يمكنه من حيث المبدأ القيام بأي إجراء أو خوارزمية فعالة ، بما في ذلك محاكاة أي كمبيوتر آخر. وهكذا الكمبيوتر الإلكتروني الحديث هو التطبيق العملي لمفهوم المجرد من آلة تورينج العالمية.²⁶

تمثل هذه الآلة النموذج النظري البسيط الذي يحاكي طريقة عمل الحاسوب. سميت بهذا الاسم نسبة لعالم الرياضيات الإنجليزي آلان تورينج²² الذي أوجد هذا النموذج سنة 1936 . هذا النموذج يعطي تعريفا رياضيا دقيقا لمصطلح خوارزم Algorithm . وتكمن أهميته في بساطته مقارنة بجهاز الحاسوب المعقد ، وعلى الرغم من ذلك هو قادر على تنفيذ كل خوارزمية بواسطة أي حاسوب متطور . لذلك يمكن معرفة إذا كانت عملية معينة قابلة للتنفيذ بواسطة الحاسوب أم لا عن طريق فحصها بواسطة آلة تورينج. يتألف هذا النموذج من تحكم منته ، وشريط دخل منته من جهة اليسار وغير منته من جهة اليمين ومقسم إلى مجموعة كبيرة من الخلايا كل منها يحمل رمزا واحدا من مجموعة منتهية تسمى " رموز الشريط " و رأس يسمى رأس القراءة والكتابة الذي يمر في كل مرة على خلية واحدة من الشريط .

وفي الوضعية الثانية يطرأ التغيير نفسه على الجملة سواء في العربية أو في الانجليزية عند تحويلها من الإثبات إلى النفي فتعوض " لم " العربية ب " did not " الانجليزية. وينقل الفعل من الماضي إلى المضارع ، ويبقى الحال كما هو عليه بالنسبة لأركان الجملة.

و كذلك الأمر نفسه بالنسبة للوضعية الثالثة ، فعندما تحول الجملة إلى الاستفهام تعوض " هل " العربية ب " did " الانجليزية وتضاف علامة الاستفهام في الأخير، دون أن يتغير شيء في بناء الجملة أو معناها.

وفي الوضعية الرابعة تعوض " by " الانجليزية ب " من طرف العربية " ويقدم المفعول به و يؤخر الفاعل .

سادسا: تشومسكي و النظرية الحاسوبية :

يشبه تشومسكي اللغة بشبكة موصولة بلوح من المفاتيح ، بحيث توجب الشروط العضوية لاكتساب اللغة أن توضع المفاتيح بناء على ما يتوفر عليه الطفل من إعداد فطري ، مما يعني أن الحالة الأولى لملكة اللغة هي التي تحدد النظام الحاسوبي للغة ، وتتيح للذهن القيام بحوسبات متعددة لاستخلاص الحقائق من المبادئ التي توفرها الملكة.

لقد أصبح الحاسوب وسيلة يشتغل عليها علماء الذكاء الاصطناعي ، وعلماء اللسانيات ، وعلماء النفس المعرفي ، وعلماء الأعصاب لأجل اكتشاف الآليات التي يعمل وفقها الدماغ البشري في حل مشاكله ، ومعالجة مختلف معارفه ، ثم معرفة الآليات التي يوظف من خلالها الدماغ البشري هذه المعارف في الحياة اليومية.

وتتمثل الاستعارة الحاسوبية في علم النفس المعرفي في أن « الكمبيوتر يتكون من جانبين وهو ما يشبه إلى حد ما مكوني العقل البشري والجسم²⁴ » فالحاسوب يتكون من مكونين يمكن الفصل بينهما ، وهما التجهيز المادي "hardware" والتجهيز البرمجي "software" والدماغ الإنساني أيضا يتكون من مناطق مادية كما يتكون من الشبكة

سعى إلى الاستعانة بما توصلت إليه العلوم المعرفية في تحليله الابدستيمولوجي للعملية اللغوية فراح يناقش مايلي:

* علم الأعصاب : حيث يؤكد التقدم الراهن في مجال علم الأعصاب نظرية تشومسكي القائلة أن الملكة اللغوية عضو ذهني ، وهو ما يفسره التوصل إلى منطقتي " بروكا " و " فرنيك " بعد تشريح الدماغ البشري و الإقرار بأنهما المسئولتين عن النطق و الكلام ، وأن أي خلل يطرأ عليهما يؤدي إلى تأثير مباشر على اللغة الإنسانية.

* الأنثروبولوجيا : وهي التي استعان بها تشومسكي في دراسته لأصل اللغة و الوصول إلى أنها غريزة تولد مع الإنسان.

* فلسفة العقل : تأثر بها في تفسيرها لطبيعة الظواهر العقلية، و البحث في كيفية انسجامها مع الواقع ، وهذا ما يتضح في لجونه إلى الدراسات العصبية في تفسيره للعمليات اللغوية التي سبق له أن أقر بأنها عقلية .

* علم النفس اللغوي : استعان به في دراسة اللغة و علاقتها بالعمليات النفسية التي يمكن أن تؤثر على فهم و إنتاج اللغة ، كما يتيح هذا التخصص من علم النفس فهم العلاقة بين العملية اللغوية من جهة ، وبين الإدراك و التعلم من جهة أخرى.

__ أن الربط الذي يقيمه تشومسكي بين تطور القدرة التفسيرية للنظرية اللسانية و التعميمات اللسانية أمر يجد مسوغه الأساس في الدور الذي تلعبه الصياغة الرياضية في الفيزياء وذلك لما لعبه المنطق الرياضي من دور فعال مع إشراقة القرن العشرين وهو ما أدى به إلى تبني النظرية الحاسوبية فيما بعد، والتي تقيم التفسير اللغوي وفق نظام يشابه نظام الحاسوب حيث تترجم البيانات اللغوية بصفة نظرية متسلسلة .

أن دراسة تشومسكي للطبيعة البشرية جاءت كنتاج لدراسته العلمية للغة الإنسانية وذلك وفق رحلة بحث متألفة في ميدان العلوم المعرفية ، فبمجرد أن رفض التفسير السلوكي أقر بوجود تأثير فطري داخل عقل الإنسان يساعده على فهم / إنتاج اللغة ، ثم مضى

حيث يتصور آلان تورينغ إمكانية توحيد الحواسيب وفق نظام برمجي الكتروني وهذا ما حدث بالفعل مع تطور الحواسيب الالكترونية الحديثة التي تم برمجتها اللغوية بطريقة عالمية وربطها بشبكة واحدة تجعلها تعمل على الوتيرة نفسها وكأنها حاسوب واحد عبر العالم بأسره، كما يمكن عبر هذه البرمجيات استخراج المعلومات الموجودة في أي حاسوب في أي مكان من العالم.

و لقد لقيت هذه الفكرة المتعلقة بعالمية الحاسوب قبولها في فلسفة تشومسكي اللغوية كونها تنسجم مع فكرته حول النحو الكلي كما أنه يدافع عن إمكانية دراسة الخصائص الحاسوبية للغة بشكل منفصل عن الأسس البيولوجية للعمليات اللغوية التي تتم على مستوى الدماغ، كما جعل البحث في آليات تفاعل المستويين رهينا بتقدم الأبحاث في العلوم المعرفية.

تمسك بذلك من منطلق أن معالجة الحاسوب للبيانات تشبه معالجة الذهن للمعلومات ، فمثلا يستقبل الحاسوب البيانات ويعمل على تشفيرها بطريقة متسلسلة ثم يخزنها في الذاكرة ليقوم باسترجاعها في الوقت المناسب ، يعمل الذهن أيضا بنفس الوتيرة في فهم اللغة وتخزينها ثم استرجاعها.

ومن خلال هذا العرض الموجز يمكننا أن نستنتج المكانة المرموقة التي يحتلها تشومسكي في ميدان الابدستيمولوجيا اللغوية المعاصرة وهذا ما يمكن توضيحه أكثر عبر النقاط الآتية :

- أن تشومسكي يفسر العملية الكلامية وفق مقاربة ابدستيمولوجية يحضر فيها العقل حضورا مركزيا فيحيل كل المدارك اللغوية إلى المقدره العقلية التي تختص بها الطبيعة البشرية. فهو بذلك قد فتح المجال أمام ابداع الفكر وأعاد للذات الانسانية اعتبارها و.

__ أن انتماء تشومسكي لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا جعله يأخذ على عاتقه الاهتمامات الجديدة للدراسة الألسنية ، التي تبحث في علاقة العمليات الذهنية بالعمليات البيولوجية، عوضا عن الاكتفاء بتحليل البنية اللفظية وحسب، وبالتالي

18: Noam Chomsky , power and prospects , op cit, p 30.

19: نعام تشومسكي ، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل ، ت عدنان حسن ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، ط1 ، اللاذقية ، سوريا ، 2009 ، ص 35.

20: نعام تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة ، ت حمزة بن قبلان المزيني ، الدار البيضاء ، ط1 ، دار توبقال ، 1990 ، ص 63 .

21: Noam Chomsky , powers and prospects , op cit, p 31.

22: Noam Chomsky , language and mind , op cit , p112.

23: رشيدة العلوي كمال ، النحو التوليدي ، بعض الأسس النظرية و المنهجية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2014 ، ص 127.

24 : Robert Audi , the Cambridge dictionary of philosophy , second edition , Cambridge university press , New York 1999 , p 165.

25 , Ibid .

26 , Ibid .

قائمة المصادر و المراجع :

أ: قائمة المصادر :

1_ قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

_ Noam Chomsky , Knowledge of language , its origin , and use convergence , the first publishers , New york , London , 1986 .

_ Noam Chomsky , language and mind , Cambridge university press new york , 2006.

_ Noam Chomsky , on nature and language , Cambridge university press , New york , 2002.

_ Noam Chomsky , power and prospects , reflection on human and the social order , pluto press , the first , published in the united kingdom , London , 1996.

2_ قائمة المصادر باللغة العربية:

_ نعام تشومسكي ، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل ، ت

عدنان حسن ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، ط1 ، اللاذقية ، سوريا ، 2009 .

_ نعام تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة ، ت حمزة بن قبلان المزيني ، الدار البيضاء ، ط1 ، دار توبقال ، 1990 .

ب: قائمة المراجع:

_ امحمد الملاخ حافظ اسماعيل علوي ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ، الدار العربية للعلوم ، ط1 ، الجزائر ، 2009 .

_ برتيل مالبرج ، مدخل إلى اللسانيات ، ت السيد عبد الظاهر ، المركز القومي للترجمة ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 2010 .

_ خليفة الميساوي ، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2013 .

_ رشيدة العلوي كمال ، النحو التوليدي ، بعض الأسس

النظرية و المنهجية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2014 .

قليلا فأطلق عليها اسم الملكة اللغوية وسعى لإثباتها بيولوجيا وقد ساعدته التطورات العلمية في ذلك ووقفت إلى جانبه تؤيد ما يقترح ، ولكي يقطع دابر الاكتساب فسر انتقال اللغة الأم من الآباء إلى الأبناء تفسيراً وراثياً يبين من خلاله أن الأمر يأتي وفق حتمية جينية لا علاقة لها بالتعلم ، وبما أن هذه المقدرة أعدل الأشياء قسمة بين الناس فإن اللغة بدورها تكون مشتركة بينهم فراح يبحث عن أوجه التشابه بين اللغات بهدف توحيدها والبرهنة على أن الاختلاف بينها طفيف لا ينقص من شموليتها شيئا وما دام الأمر كذلك نستطيع إذن البرهنة على وجود طبيعة إنسانية لا مثيل لها.

الهوامش:

1: نايف خرما علي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 126 ، 1988 ، ص 69.

2: Noam Chomsky , Knowledge of language , its origin , and use convergence , the first publishers , New york , London , 1986 , p24.

3: Ibid , p 16.

4: برتيل مالبرج ، مدخل إلى اللسانيات ، ت السيد عبد الظاهر ، المركز القومي للترجمة ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 2010 ، ص 304.

5: محمود فهمي زيدان ، البحث اللغوي ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت ، ص 111.

6: امحمد الملاخ حافظ اسماعيل علوي ، قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ، الدار العربية للعلوم ، ط1 ، الجزائر ، 2009 ، ص 111.

7: المرجع نفسه ، ص 112.

8: Noam Chomsky , on nature and language , Cambridge university press , New york , 2002 , p 62.

9: Ibid , p 64.

10: Noam Chomsky , language and mind , Cambridge university press new york , 2006 . p 04.

11: Noam Chomsky , power and prospects , reflection on human and the social order , pluto press , the first , published in the united kingdom , London , 1996 , p 41.

12: خليفة الميساوي ، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2013 ، ص 208.

13: المرجع نفسه ، ص 208_209.

14: المرجع نفسه ، ص 209.

15: المرجع نفسه ، ص 210

16: Noam Chomsky , language and mind , op cit , p09.

17: Ibid.

__ محمود فهمي زيدان ، البحث اللغوي ، دار غريب للطباعة و
النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، دط ، دت.

__ نايف خرما علي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها ،
سلسلة عالم المعرفة ، عدد 126 ، 1988 .

قائمة المعاجم :

Robert Audi ، the Cambridge dictionary of __
philosophy ، second edition ، Cambridge
university press ، New York 1999 .